الملاءمة بين الحروف والمعنى دراسة بلاغية تطبيقية

د. كمال كامل محمود صالح الحداد (*)

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين الذي قال في كتابه العزيز (وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) (يونس:٥٣) والصلاة والسلام على خير الأنام سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين ،،،

وبعد ،،

فإن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة ، لكل زمان بكل اللغات[١] ومن صور إعجازه وصوله إلى الدرجة العليا من البلاغة تحدى به قوم كانوا يتفاخرون بقدرتهم على التعبير ، ولكن لوعيهم بالجمال في النص القرآني لم يستطيعوا أن يأتوا ولو بسورة صغرت أم كبرت من مثله ، ولكن لقدرتهم الفائقة عرفوا أنهم

لن يستطيعوا مجابهة هذا التحدي ، بل كان من يسمع آية من القرآن تأخذه حلاوته ، مثلما حدث مع الوليد بن المغيرة كما جاء عن ابن عباس قال: ((إن الوليد بن المغيرة , جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم . فقال اقرأ علي. فقرأ عليه : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ)(النحل: من الآية٩٠) - (فقال: أعد , فأعاد. فقال: والله إن له لحلاوة. وإن عليه لطلاوة. وإن أعلاه لمثمر. وإن أسفله لمغدق, وإنه ليعلوا ولا يعلى عليه. وإنه ليحصم ما تحته. وما يقول هذا بشر.[٢]

وقصة إسلام عمر بن الخطاب حين استمع إلى بعض آيات من سورة طه ، والتي حولته من طاغية يريد قتل أخته إلى فارق بين الحق والباطل.[٣]

كل هذا يدفع المرء إلى التأمل في آيات القرآن ، وحروف النور التي يستشعرها من يتذوق حلاوة القرآن ؛فليست كلمات القرآن وحدها هي المعجزة بل إن اجتماع حروفه في تركيب خاص لهو أيضا معجزة ، وحركات

(*) مدرس البلاغة والنقد فى كلية اللغة العربية بجرجا جامعة الأزهر.

الحروف إذا ثقلت ، وإذا خفت ، أيضا في استخدامها إعجاز لغوي ، يقول الرافعي: "ولو تدبرت ألفاظ القرآن في نظمها لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجيء في الوضع والتركيب مجيء الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة، ويهيئ بعضها لبعض، ويساند بعضها بعضا، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف مساوقة لها في النظم الموسيقي(٤)

لذلك كان اختياري لهذا الموضوع لأتناوله من جهتين:

الأولى : دراسة نظرية أتعرض فيها إلى دراسة الثقل في الحرف وما انتهى إليه العلماء في هذا المجال مع مناقشة ما انتهوا إليه.

الثانية :جمع بعض من فيض القرآن الكريم ، لعرض القاعدة البلاغية عليه لمعرفة مدى صحتها ، لأن القرآن :" مبناه على أجراس الحروف واتساقها ، ومداره على الوجه الذي تؤدى به الألفاظ ..... وليس في غيره ما يبلغ أن يكون حدا للكمال اللغوي في الفطرة(٥)

والله أسأل أن يوفقني في هذا العمل وأن يكون خالصا لوجهه الكريم

والله المستعان

لست أقصد في هذا البحث تناول قضية اللفظ والمعنى وإنما قصدت منه تناول الثقل الفصيح لبعض الألفاظ ، والإشارة إلى خطأ القدامى في تطبيقهم القاعدة على النص القرآني لأنّ القواعد تُعْرَض على القرآن، ولا يعرض القرآن عليها،

ذهب أكثر علماء البلاغة الأقدمين إلى أن قرب المخارج أو بعدها يكون سببا لثقل الكلمة على اللسان ، وعدوا هذا من قبيل القبح في اللفظ ، وأطلقوا عليه تنافر الحروف ، وقالوا إنه : " وصف في الكلمة يوجب ثقلها على اللسان وعسر النطق بها .[٦]

فهو يذكر أن الكلمة إذا ثقلت على اللسان كان ذلك عيبا يخرجها عن حدود الفصاحة ، وهذا التعريف لتنافر الحروف فيه نظر ، لأن الثقل قد لا يكون عيبا في الكلمة ، بل من أسباب فصاحتها ، وقديما نجد الإمام عبد القاهر الجرجاني أدرك أن الثقل مما يوجب الفضيلة في الكلمة حيث يقول : " واعلم أنا لا نأبى أن تكون حذاقة الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان داخلا فيما يوجب الفضيلة ، وأن تكون مما يؤكد أمر الإعجاز."[٧]

والملاحظ أن الكثير من العلماء المحدثين أثناء تعرضهم لدراسة هذا اللون من ألوان البلاغة نجدهم يسيرون على منهج الأقدمين في التعريف ، – هذا على الرغم من أنهم نقدوا الكثير من التعريفات التي ذكرها الأقدمون– ثم نجدهم من خلال تعرضهم لهذا الموضوع بالشرح لا يقتنعون بالثقل دليلا على عدم الفصاحة ويحكِّمون "الذوق في إدراك الفصاحة في الكلمة"[٨]

وقد لاحظ العلماء مناسبة الحروف العربية لمعانيها وقدرة الحرف على التعبير الموحي " إذ لم يعنهم من كل حرف أنه صوت ، وإنما عناهم من صوت هذا الحرف أنه معبر عن غرض ، وأن الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصوتية التي يمكن حل أجزائها إلى مجموعة من الأحرف الدوال المعبرة ، فكل حرف منها يستقل ببيان معنى خاص ما دام يستقل بإحداث صوت معين ، وكل حرف له ظل وإشعاع إذ كان لكل حرف صدى وإيقاع ، وإثبات القيمة التعبيرية للصوت البسيط وهو حرف واحد في الكلمة ، كإثبات هذه القيمة نفسها للصوت المركب [٩]

وعلى هذا يمكن القول في تعريف تنافر الحروف أنه : وصف في الكلمة يوجب خروجها عن حدود الفصاحة لعدم حكايتها للمعنى المراد .

لأن "الألفاظ لا تراد لأنفسها ، وإنما تراد لتجعل أدلة على المعاني ؛ فإذا عدمت الذي له تراد ، أو اختل أمرها فيه ، لم يعتد بالأوصاف التي تكون في أنفسها عليها ، وكانت السهولة وغير السهولة فيها واحدا[١٠]

وتنافر الحروف _ كما يذكر الخطيب القزويني _ منه ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق بها ، كما روي أن إعرابيا سئل عن ناقته فقال : " تركتها ترعى الهعخع " ، ومنه ما دون ذلك كلفظ " المستشزرات " في قول امرئ القيس :

* غَدَائِرِهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى الْعُــلا * [١١]

ومن خلال هذا النص يمكن القول إن الخطيب القزويني يجعل قرب المخرج سببا في الثقل المتناهي ، وأن ذلك عيبا يخرج الكلمة عن حدود الفصاحة ، ومثل لذلك بكلمة " الهعخع " ، ولكن هذا المثال لم يقبل به الكثير من العلماء فقد ذكر العلامة السبكي : أن أبي الدقيش قال : هي كلمة معاياة لا أصل لها .. ففي هذه الكلمة أربعة أقوال: " أحدها أنه الحغخع ، والثاني الهعخع ، وهو فيهما بضم الهاء والخاء ، والثالث أنه لا أصل لها ، والرابع أنه العهعخ ."[١٢]

وهذا يدل على أن هذا المثال غير مقبول لدى كثير من العلماء ، في القديم والحديث فمما ذكره السبكي من يقول إنها لا أصل لها ، وقول أبي الدقيش يعني أنها كلمة استحدثت للدلالة على الثقل ، ولا أصل لها في كتب اللغة.

ومن المعاصرين من قال :" وأظن أنه ليس اسم شجر ، لأن أسماء الشجر تكون في الغالب كلمات دوارة ، وهذه كلمة ثقيلة لا يستطاب دورانها على الألسنة ، إلا أن يكون شجرا كريها مرا لا يطاق طعمه ، كأن هذه الكلمة لا يطاق النطق بها ، والتي تحكي صوت المتقيئ ، ولم لا يكون لفظا مخترعا للثقل ، وأنه لا معنى له؟"[١٣]

فهو يذكر أنها إما أن تكون حكاية لصوت كريه – وأرى أن هذا لا يخرجها عن حدود الفصاحة – أو أنها مثال مخترع للثقل ، ونرى غيره من

المعاصرين أيضا من أرجع الثقل في هذه الكلمة إلى تجاور مخارج أصواتها تجاورا تاما ، ويتمثل هذا التجاور في تتابع تلك الأصوات التي التقت بدون فاصل بين المقطعين [١٤](هع ، خع) كما أنها احتكاكية تحتاج إلى جهد أكثر مما لو كانت انفجارية ، وأن أكثر أصوات هذه الكلمة مهموسة ، وهذا يجهد أعضاء النطق أكثر من الجهر[١٥]

وهذا التعليل أيضا غير مقبول لأن هناك من الألفاظ ما ينطبق عليه هذا الوصف إلا أنها بليغة في موضعها وذلك مثل كلمة " أعهد "[١٦] وأبرز سبب لتنافر الحروف كما ذكر الأقدمون هو قرب المخارج وبعدها ، فقد ذكر السيوطي في المزهر : "اعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت لأنك إذا استعملت اللسان في حروف الحلق دون حروف الفم ودون حروف الذلاقة كلفته جرسا واحدا وحركات مختلفة ، ألا ترى أنك لو ألفت بين الهمزة والهاء والحاء فأمكن ، لوجدت الهمزة تتحول هاء في بعض اللغات لقربها منها نحو .. ما قالوا في أراق هراق ، ولوجدت الحاء في بعض الألسنة تتحول هاء ، وإذا تباعدت مخارج الحروف حسن التأليف واعلم أنه لا يكاد يجيء في الكلام ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمة واحدة لصعوبة ذلك على ألسنتهم وأصعبها حروف الحلق[١٧]

ويعلل ابن دريد عدم التأليف من الحروف المتقاربة المخارج أنه ربما لزمهم ذلك من كلمتين ، أو من حرف زائد فيحولون أحد الحرفين حتى يصيروا الأقوى منهما مبتدأ على الكره منهم وربما فعلوا ذلك في البناء الأصلي فأما ما فعلوه من بناءين فمثل قوله تعالى (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (المطففين:١٤) لا يبينون اللام ويبدلونها راء لأنه ليس في كلامهم " لر " فلما كان كذلك أبدلوا اللام فصارت مثل الراء ، وأما ما فعلوه في بناء واحد فمثل السين عند القاف ، والطاء يبدلونها صادا لأن السين من وسط الفم مطمئنة على ظهر اللسان والقاف والظاء شاخصتان إلى الغار الأعلى فاستثقلوا أن يقع اللسان عليها ثم يرتفع إلى الطاء والقاف فأبدلوا السين صادا لأنها أقرب الحروف إليها لقرب المخرج ووجدوا الصاد أشد ارتفاعا وأقرب إلى القاف والطاء وكان استعمالهم اللسان في الصاد مع

القاف أيسر من استعماله مع السين فمن ثم قالوا صقر والسين الأصل وليس هذا في كل الكلام.(١٨)

أما ابن سنان فيعلل سبب الثقل في القرب والفصاحة في البعد بقوله :

" وعلة هذا واضحة وهي أن الحروف التي هي أصوات تجري من السمع مجرى الألوان من البصر ، ولاشك في أن الألوان المتباينة إذا اجتمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة ، ولهذا كان البياض مع السواد أحسن منه مع الصفرة لقرب ما بينه وبين الأصفر ، وبُعد ما بينه وبين الأسود ، وإذا كان هذا موجودا على هذه الصفة لا يحسن النزاع فيه كانت العلة في حسن اللفظة المؤلفة من الحروف المتباعدة هي العلة في حسن النقوش إذا مزجت من الألوان المتباعدة(١٩)

فهو يجعل التذوق الجمالي للفظ وحسن وقعه على الأذن يرجع إلى تباعد مخارج الحروف ، وعلى العكس منه في النفور من اللفظ فإن مرجعه إلى قرب المخارج .

وساوى الرماني بين القرب والبُعد في الثقل ؛ فهو يرى : أن القرب والبُعد هو السبب في التنافر حيث يقول : " وأما التنافر فالسبب فيه ما ذكره الخليل من البعد الشديد ، أو القرب الشديد ، وذلك أنه إذا بعد البعد الشديد كان بمنزلة الطفر ، وإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة المقيد ، لأنه بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكانه ، وكلاهما صعب على اللسان ، والسهولة من ذلك في الاعتدال ، ولذلك وقع في الكلام الإدغام والإبدال"(٢٠)

وقد تنبه ابن رشيق القيرواني إلى أن اللفظ لابد أن يكون موحيا ودالا على معناه مصورا – مع باقي ألفاظ الجملة – إلى الصورة التي يراد أن يدركها المتلقي حيث يقول في معرض حديثه عن قضية اللفظ والمعنى "اللفظ جسم وروحه المعنى، وأن ارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته ، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه ، كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه ذلك ، من غير أن تذهب الروح .. فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه ، وإن كان حسن الطلاوة في السمع ، كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأي العين إلا أنه لا ينتفع به ، ولا يفيد

فائدة ، وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى ، لأنا لا نجد روحا في غير الجسم البتة[٢١]

ويبقى القرآن الكريم هو الملاذ والملجأ الذي نحتكم إليه حين نرى تأصيلا لقاعدة لا يقبلها العقل وتأباها النفس ، فهو المعين الذي لا ينضب ، والذي قال عنه صاحب الإعجاز القرآني والبلاغة النبوية : "ولما كان الأصل في نظم القرآن أن تعتبر الحروف بأصواتها وحركاتها ومواقعها من الدلالة المعنوية ، استحال أن يقع في تركيبه ما يسوغ الحكم في كلمة زائدة ، أو حرف مضطرب ، أو ما يجري مجرى الحشو والاعتراض ، أو ما يقال منه أنه تغوث واستراحة[٢٢]

ومن المعاصرين من تلمّس قيمة الحرف في القرآن فيقول : " ذلك أنك إذا استمعت إلى حروف القرآن خارجة من مخارجها الصحيحة تشعر بتناسق رصف الحروف بعضها بجانب بعض في الكلمات والآيات ، هذا حرف ينقر ، وذاك يصفر ، وهذا يخفي ، وذاك يظهر ، وهذا يهمس ، وذاك يجهر ، ومن هنا يتجلى جمال لغة القرآن ، حيث خرج إلى الناس في هذه المجموعة المختلفة المؤتلفة ، الجامعة بين اللين والشدة ، والخشونة والرقة ، والجهر والخفية على وجه دقيق محكم ..وهذا التناسق الذي لا يمكن التعبير عنه ، وهذا النظام الصوتي ، وهذا الجمال اللغوي كانت سورا منيعا لحفظ القرآن بحيث لو داخله شيء من كلام الناس لاعتل ذوقه ، واختل نظامه"[٢٣]

وبالبحث في القرآن الكريم نجد أن هناك من الآيات ما جمع فيها ثلاثة أحرف حلقية ويظل للكلمة بهاؤها وبريقها وذلك مثل كلمة " أعهد " في قوله تعالى : (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (يّــس:٦٠)

فالهمزة ، والعين والهاء مخرجها واحد وهو الحلق ، ولكن لا يمكن أن يقال عنها إلا أنها كجميع ألفاظ القرآن الكريم لها الدرجة الأعلى من البلاغة ؛ لأن العهد هنا بمعنى الوصية أي ألم أوصكم وأبلغكم على ألسنة الرسل ألا تعبدوا الشيطان أي لا تطيعوه في معصيتي[٢٤]

وتقارب الحروف وخروجها من مخرج واحد هنا موحي بالمعنى ومؤدي للغرض بحيث لايمكن لأي لفظة أن تعطي إيحاءاتها لأنها تبين ثقل العهد من الله سبحانه وتعالى ووصيته لهم التي تتمثل في " الأوامر والنواهي التي من جملتها قوله تعالى (يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ) (لأعراف:٢٧)

وقوله تعالى (وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ)(البقرة: من الآية١٦٨) وغيرهما من الآيات الكريمة الواردة في هذا المعنى ، وقيل هو الميثاق المأخوذ عليهم حين أخرجوا من ظهور بنى آدم واشهدوا على أنفسهم ، وقيل هو ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته تعالى الزاجرة عن عبادة غيره ، والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزينه لهم ، عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها في مقابلة عبادته عز وجل(٢٥)

كما أن قرب هذه الحروف في المخرج يمكن أن يوحي بعمق العهد وقدمه عندما قال الله تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) (لأعراف:١٧٢) فعبر عن هذا العمق بأعمق الحروف وأبعدها في الجوف .

وانظر إلى يرتدد في قوله تعالى : (يَسْأَلونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِن اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (البقرة:٢١٧)

فحين ننظر إلى كلمة " يرتدد " في الآية نجد أنها بالفك في هذا الموضع أبلغ من الإدغام ، لأن الفك هنا يؤدي إلى صعوبة في النطق ، لأنها تحكي ثقل الردة ، فالمؤمن الحق الذي ذاق حلاوة الإيمان تأبى نفسه علقم الضلال

والشرك ، وفيه"إشارة إلى أن رجوعهم عن الإسلام إن قدر حصوله لا يكون إلا عن محاولة من المشركين ٠٠ فمن عرف الحق لا يرجع عنه إلا بعناء.(٢٦)

فكانت صيغة الافتعال المؤذنة بالتكلف والعلاج إشارة إلى أن الدين لا يرجع عنه إلا بإكراه النفس لما في مفارقة الإلف من الألم؛ " وإجماع القراء على الفك هنا للإشارة إلى أن الحبوط مشروط بالكفر ظاهراً باللسان وباطناً بالقلب فهو مليح بالعفو عن نطق اللسان مع طمأنينة القلب، وأشارت قراءة الإدغام في المائدة(٢٧) إلى أن الصبر أرفع درجة من الإجابة باللسان وإن كان القلب مطمئناً.(٢٨)

لهذا كان ملائما لها استخدام الحبط في الأعمال ، لأن " الحبوط مأخوذ من حبطت الناقة إذا رعت مرعى خبيثا فانتفخت ثم نفقت ٠٠ والقرآن يعبر بهذا عن حبوط العمل فيتطابق المدلول الحسي والمدلول المعنوي ٠٠ بتطابق تضخم

العمل الباطل وانتفاخ مظهره وهلاكه في النهاية وبواره ٠٠ مع تضخم حجم الناقة وانتفاخها ثم هلاكها في النهاية.(٢٩)

وهذا من إعجاز القرآن والنبي ﷺ إذ أخبر عن ارتدادهم ، ولم يكن ذلك في عهده ، وكان ذلك غيبا فكان على ما أخبر بعد مدة ، وأهل الردة كانوا بعد موته ﷺ قال ابن اسحق لما قبض رسول الله ﷺ ارتدت العرب إلا ثلاثة مساجد مسجد المدينة ومسجد مكة ومسجد جواثى ، وكانوا في ردتهم على قسمين ، قسم نبذ الشريعة كلها وخرج عنها وقسم نبذ وجوب الزكاة واعترف بوجوب غيرها ، قالوا نصوم ونصلي ولا نزكي فقاتل الصديق جميعهم وبعث خالد بن الوليد إليهم بالجيوش فقاتلهم وسباهم على ما هو مشهور في أخبارهم(٣٠)

وننظر إلى دلائل التراكيب في الآية نجدها مكملة للمعنى المراد من الآية : فأولئك : إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الارتداد والموت على الكفر ، وما فيه من البعد للإشعار ببعد منزلة من يفعل ذلك في الشر والفساد.(٣١)

والجمع والإفراد نظرا للفظ والمعنى ، وقال الإمام البقاعي : " أفرد الضمير على اللفظ نصاً على كل فرد ، وجمع لأن إخزاء الجمع إخزاء لكل فرد منهم ، ولا عكس ، وقرنه بفاء السبب إعلاماً بأن سوء أعمالهم هو السبب في وبالهم[٣٢]

حبطت أعمالهم : أي صارت أعمالهم الحسنة التي عملوها في حالة الإسلام فاسدة بمنزلة ما لم تكن(٣٣) وما أثقل هذا على النفس حين تعرف أن كل الأعمال الخيرة التي قامت بها تلاشت حتى أنها أصبحت غير موجودة.

واستمع إلى " طردتهم " في قول الحق تبارك وتعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام: (وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللّهِ إن طَرَدتُّهُمْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ) (هود : ٣٠)

عطف إلى صريح الاستعطاف في سياق محذر من سطوات الله فقال: { ويا قوم} أي الذين هم أعز الناس عليّ[٣٤]

وانظر إلى " وأعتدت " في قوله ﷻ (فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَا لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ) (يوسف:٣١)

فهذه اللفظة فيها حكاية دقيقة للمعنى المراد ، فقد جاء الخبر إلى امرأة العزيز بأن ألسنة النساء بدأت تلوكها ، وتحكي شغفها بهذا الغلام الموجود في قصرها ، وهذا الأمر لابد وأنه ثقيل على نفس أي امرأة ، وأرادت هي الدفاع عن نفسها وعما فعلته وتصر على فعله ، فاستخدم القرآن لفظ : " أعتدت " بثقلها ليبين ثقل هذا الأمر على نفسها ، كما بين أيضا ثقل التخطيط والإعداد لهذا الأمر فهي لا بد وأنها أرادت أن تهيئ جميع الظروف والملابسات التي تضمن لخطتها النجاح ، وتجعل هؤلاء النسوة يفتّن بيوسف عليه السلام كما فتنت هي من قبل برجولته وفحولته ، ولفظ القرآن الكريم لابد وأن يكون مع إيجازه معبرا عن رسم الصورة الخارجية ، بين الإرسال وتلبية الدعوة ، وكيفية الجلوس ، وإعداد الطعام ، وكيفية تناوله ، وكذلك

رسم الدوافع والأحاسيس التي يكون عليها بطل القصة ، من هنا كان هذا الاستعمال " أعتدت " ملائما للمعنى

ومنه قوله تعالى (كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ) (القمر : ٤٢)

فهو أبلغ من قادر لدلالته على أنه قادر متمكن القدرة لا يرده شيء عن اقتضاء قدرته ويسمى هذا قوة اللفظ لقوة المعنى[٣٥]

(مقتدر) أي لا يعجل بالأخذ ، لأنه لا يخاف الفوت ، ولا يخشى معقباً لحكمه، بالغ القدرة إلى حد لا يدرك الوصف كنهه ، لأن صيغة الافتعال مبناها على المعاجلة من عاجل فعلاً أجهل نفسه فيه، فكان على أتم الوجوه ، وهذه الغاية هي المرادة ليس غيرها ، فهو تمثيل .... ، وقد ختمت القصص بمثل ما افتتحت به من عذاب المفسدين بالإغراق ليطابق الختم البدء ، وكانت نجاة المصلحين من الأولين بالسفينة ، وكانت نجاة المصلحين من الآخرين بأرض البحر كانت هي سفينتهم ، ليكون الختم أعظم من البدء كما هو شأن أهل الاقتدار.[٣٦]

وأخذ في هذه الآية استعملت بمعنى عاقب فأخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء أكفاركم يا معشر العرب خير قوة وشدة وعدة ، أو مكانه من أولئكم الكفار المعدودين ، والمعنى أنه أصابهم ما أصابهم مع ظهور خيريتهم منكم فيما ذكر من الأمور فهل تطمعون أن لا يصيبكم مثل ذلك وأنتم شر منهم مكانا وأسوأ حالا[٣٧]

أما القاضي عبد الجبار فإنه بصرح بأن الفصاحة ترجع إلى علاقة الكلمة بما يجاورها ، وما ينبغي مراعاتها عند ضم الكلمات إلى بعضها وبناء العبارات فيقول: " واعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام ، وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة ، ولا بد من الضم من أن يكون لكل كلمة صفة ، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم ، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه ، وقد تكون بالموقع ، وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع ، لأنه إما أن يعتبر فيه الكلمة أو حركاتها أو مواقعها ، ولا بد من هذا الاعتبار في كل كلمة ، ثم لا بد من اعتبار مثله في الكلمات ، إذا انضم بعضها إلى بعض [٣٨]

فهو هنا يشير إلى أهمية الكلمة بالنسبة إلى النظم ومدى اتساقها مع ما يجاورها وموقعها من حيث أنه فاعل أو مفعول أو غير ذلك ، وموقعها من التقديم والتأخير ؛ فهو ينظر إلى الجملة كبنيان متكامل إلا أن هذا لا يمنع اهتمامه بالكلمة في ذاتها من حيث إنها تكون فصيحة في موضع ، وتقل في فصاحتها في موضع آخر حيث يقول : " ولا يمتنع في اللفظ الواحد أن تكون إذا استعملت في معنى تكون أفصح منها إذا استعملت في غيره ، وكذلك فيها إذا تغيرت حركاتها"(٣٩)

وابن الأثير يجعل حاسة السمع هي التي تحكم بحسن الألفاظ أو قبحها فنراه يقول : " لو أراد الناظم أو الناثر أن يعتبر مخارج الحروف عند استعمال الألفاظ أهي متباعدة أو متقاربة لطال الخطب في ذلك وعسر ولما كان الشاعر ينظم قصيداً ولا الكاتب ينشئ كتاباً إلا في مدة طويلة تمضي عليها أيام وليال ذوات عدد كثير ، ونحن ترى الأمر بخلاف ذلك فإن حاسة السمع هي الحاكمة في هذا المقام بحسن ما يحسن من الألفاظ وقبح ما يقبح "(٤٠)

والإمام عبد القاهر في كتابه دلائل الإعجاز ذكر إن اللفظة الواحدة تحسن في موضع وتقبح في موضع آخر فقد ذكر : " إنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينك تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر.

تأمل كلمة الأخدع في قول الحماسي :

بكت عيني اليسرى فلما زجرتها ∴على الجهل بعد الحلم أسبلتا معا

تلفت نحو الحي حتى وجدتني ∴وجعت من الإصغاء ليتا وأخدعا(٤١)

وفي قول البحتري :

وإني إن بلغتني شرف الغنى ∴ وأعتقت من رق المطامع أخدعي

فإن لها في هذين الموضعين ما لا يخفى من الحسن ، ثم تأملها في قول أبي تمام:

يا دهر قوم من أخدعيك فقد ∴ أضججت هذا الأنام من خرقك

تجد أن لها من الثقل على النفس ومن التنغيص والتكدير أضعاف ما وجدت لها هناك من الخفة والإيناس .

وانظر إلى كلمة شيء في قول عمر بن أبي ربيعة :

ومن مالئ عينيه من شيء غيره ∴إذا راح نحو الجمرة البض كالدمى

وفي قول أبي حية النميري :

إذا ما تقاضى المرء يوما وليلة ∴ تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا

فإنك تعرف حسنها ومكانها من القبول ثم انظر إليها في قول المتنبي :

لو الفلك الدوار أبغضت سعيه ∴ لعوقه شيء عن الدوران

فإنك تراها تقل ، وتضؤل بحسب نبلها وحسنها فيما تقدم(٤٢)

أما تتابع الأصوات بدون فاصل بين المقطعين كما ذكر البعض[٤٣]

فمردود عليه بقوله تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) (البقرة:٢١٤)

وأزعجوا إزعاجا شديدا بما أصابهم من الشدائد حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر[٤٤]

انتهى أمرهم من الشدة إلى حيث اضطرهم الضجر إلى أن يقول الرسول صلى الله عليه وسلم وهو أوثق الناس بنصر الله تعالى ، والمؤمنون المقتدون بآثاره المستضيئون بأنواره " متى " أي متى يأتي نصر الله طلبا وتمنيا له ، واستطالة لمدة الشدة والعناء ، وقرئ " حتى يقولُ " بالرفع على أنه حكاية حال ماضية ، وهذا كما ترى غاية الغايات القاصية ، ونهاية النهايات النائية ، كيف لا والرسل مع علو كعبهم في الثبات والاصطبار حيث عيل صبرهم ، وبلغوا هذا المبلغ من الضجر والضجيج علم أن الأمر بلغ إلى غاية لا مطمح وراءها ، "ألا إن نصر الله قريب" على تقدير القول ، أي فقيل لهم حينئذ ذلك ، إسعافا لمرامهم بالقرب الزماني.

وفي إيثار الجملة الاسمية على الفعلية المناسبة لما قبلها وتصديرها بحرف التنبيه والتأكيد من الدلالة على تحقيق مضمونها ، وتقريره مالا يخفى .

واختيار حكاية الوعد بالنصر لنا أنها في حكم إنشاء الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

والاقتصار على حكايتها دون حكاية نفس النصر مع تحققه : للإيذان بعدم الحاجة إلى ذلك لاستحالة الخلف ، ويجوز أن يكون هذا واردا من جهته تعالى عند الحكاية على نهج الاعتراض ، لا واردا عند وقوع المحكي ، وفيه رمز إلى أن الوصول إلى جناب القدس لا يتسنى إلا برفض اللذات ، ومكايدة المشاق كما ينبئ عنه قوله حفت الجنة بالمكارة وحفت النار بالشهوات(٤٥)

فهى صورة جمالية موحية بالحال المذكورة من تداخل واختلاط وهو اللف حيث أتي بجميع المقدمات ثم بجميع الثواني مختلطة غير مرتبة ، فنسبة قوله " متى نصر الله " إلى قوله " والذين آمنوا :" كنسبة قوله " يقول الرسول " إلى " ألا إن نصر الله قريب " لأن القولين المتباينين يصدران عن متباينين .

ويقول المرحوم سيد قطب عن هذه الآية واصفا حالة كل من يتدبر القرآن وتأخذه معانيه في حديثه عن أحاسيسه عندما يقرأ هذه الآية وقوله تعالى : (حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) (يوسف:١١٠)

"ما قرأت هذه الآية أو تلك إلا وشعرت بقشعريرة من تصور الهول الذي يبلغ بالرسول هذا المبلغ ، ومن تصور الهول الكامن في هذه الهواجس ، والكرب المزلزل الذي يرج نفس الرسول هذه الرجة ، وحالته النفسية في مثل هذه اللحظات ، وما يحس به من ألم لا يطاق .

في هذه اللحظة التي يستحكم فيها الكرب ، ويأخذ فيها الضيق بمخانق الرسل ، ولا تبقى ذرة من الطاقة المدخرة . . في هذه اللحظة يجيء النصر كاملا حاسما فاصلا.(٤٦)

وقوله تعالى (كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ) (آل عمران:١٨٥)

فلا ترى في المعجم غير كلمة زحزح تصور مشهد الإبعاد والتضحية بكل ما يقع في هذا المشهد من أصوات . ."(٤٧)

ولفظ " كبكبوا " في قوله تعالى أيضا (فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ) (الشعراء:٩٤)

فهو أبلغ من كبوا للإشارة إلى أنهم يكبون كبا عنيفا فظيعا .

فكبكبوا فيها هم والغاوون أي الآلهة وعبدتهم ، والكبكبة تكرير لكب لتكرير معناه ، كأن من ألقي في النار ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها(٤٨)

وإننا لنكاد نسمع من جرس اللفظ صوت تدافعهم وتكفئهم وتساقطهم بلا عناية ولا نظام ، وصوت الكركبة الناشئ من الكبكبة ، كما ينهار الجرف فتتبعه الجروف ؛ فهو لفظ مصور بجرسه لمعناه ، وإنهم لغاوون ضالون ، وقد كبكب معهم جميع الغاوون " هم وجنود إبليس أجمعون " والجميع جنود إبليس . فهو تعميم شامل بعد تخصيص.(٤٩)

ومنه قوله تعالى (وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ)وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ) (التكوير:١٧: ١٨) .

... واللفظ فيه تلك الإيحاءات كذلك ، فلفظ عسعس مؤلف من مقطعين:عس ، عس ، وهو يوحي بجرسه بحياة في هذا الليل , وهو يعس في الظلام بيده أو برجله لا يرى ، وهو إيحاء عجيب واختيار للتعبير رائع . . . . وكل متذوق لجمال التعبير والتصوير يدرك أن قوله تعالى:(فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس , والليل إذا عسعس , والصبح إذا تنفس). . ثروة شعورية وتعبيرية . فوق ما يشير إليه من حقائق كونية . ثروة جميلة بديعة رشيقة ; تضاف إلى رصيد البشرية من المشاعر , وهي تستقبل هذه الظواهر الكونية بالحس الشاعر.(٥٠)

أما قول امرئ القيس

وَفَرْعٍ يُغْشّى الْمَتن أسْودَ فاحِمٍ ∴ أثيثٍ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ الْمُتَعَثْكِـلِ

غَدَائِرهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى الْعُـلا∴تَضِلِ الْعُقَاصُ فِي مُثَنّى ومُرْسَلِ(٥١)

فقد ذكر العلامة السبكي أن سبب الثقل هو : " توسط الشين ، وهي مهموسة رخوة بين التاء ، وهي مهموسة شديدة والزاي وهي مجهورة.(٥٢)

فكأن الانتقال من المهموس الشديد " التاء " إلى المهموس الرخو "الشين" ثم الوقوع على المجهور " الزاي " فيه جمع بين المتضادات ، وفي ذلك من الصعوبة ما لا يخفى.(٥٣)

وقالوا لو أبدلت " الزاي " " راء " وقالوا " مستشرف " لزال الثقل وفيه نظر : لأن الراء المهملة أيضا من المجهورة.(٥٤)

ويرى بعض الدارسين أن في صوت كلمة " مستشزرات " حكاية دقيقة لمعناها ، أي أن التفشي الذي تلحظه في صوت الشين ، وانتشار الهواء ، وامتلاء الفم به حين النطق ، يشبه إلى حد كبير انتشار الشعر وتشعيثه وذهابه هنا وهناك ، والحق أن بطء الكلمة وثقلها على اللسان يذهب بهذه المزية فيها من حيث أنه يتعارض مع خفة معناها ، لأنها تصف شعرا جميلا خفيفا هفهافا يرتفع إلى العلا(٥٥)

ولكنني أميل للرأي الأول القائل بأنها حكاية لمعناها ، لأن الشاعر هنا لا يتحدث عن خفة الشعر وتمايله ، وإنما الشاعر يتحدث عن كثافة هذا الشعر مرتفعا ، وكثافته مرسلا .

من ذلك نرى أن هذين المثلين اللذين يستعملهما أهل البلاغة كثيرا في حديثهم عن تنافر الحروف غير دقيقين ، أو على الأقل بهما حاجة إلى مناقشة فالأول وهو " الهعخع " أختلف في دورانه على ألسنة العرب ، والثاني وهو مستشزرات به حكاية دقيقة لمعناه ، هذا إلى جانب ورود الكثير من الآيات القرآنية التي تدحض هذه النظرية في الاستشهاد بالثقل ، وسببه –كما ظهر من الآيات السابقة– ، و كما في قوله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ)(التوبة:٣٨)

هذه الآية بلا خلاف نزلت عتابا على تخلف من تخلف عن النبي ﷺ في غزوة تبوك ، وكانت سنة تسع من الهجرة بعد الفتح بعام غزا فيها الروم في عشرين ألف بين راكب وراجل(٥٦)

وكلمة " اثاقلتم إلى الأرض " كما يرى المفسرون تعني : اثاقلتم إلى نعيم الأرض ، أو إلى الإقامة بالأرض ، وهو توبيخ على ترك الجهاد ،

وعتاب على التقاعد عن المبادرة إلى الخروج ، وهو نحو من أخلد إلى الأرض [٥٧]

" والفعل ماض لفظا مضارع معنى كأنه قيل تتثاقلون ، فالعامل في الظرف الاستقرار المقدر في لكم ، أو معنى الفعل المدلول عليه بذلك ، ويجوز أن يعمل فيه الحال أي ما لكم متثاقلين حين قيل لكم انفروا .

وقرئ " اثاقلتم " على الاستفهام الإنكاري التوبيخي ، فالعامل في الظرف حينئذ إنما هو الأول " إلى الأرض " متعلق بـــ " اثاقلتم " على تضمينه معنى الميل والإخلاد ، أي اثاقلتم ماثلين إلى الدنيا وشهواتها الفانية عما قليل ، وكرهتم مشاق الغزو ومتاعبه المستتبعة للراحة الخالدة كقوله ﷻ :(أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ)(لأعراف: من الآية١٧٦) ، أو إلى الإقامة بأرضكم وديياركم[٥٨]

وذكر صاحب التصوير الفني في القرآن إيحاءات هذه الكلمة ، ومدى اتساقها مع المعنى في قوله : " تسمع الأذن كلمة " اثاقلتم " فيتصور الخيال ذلك الجسم المثّاقل ، يرفعه الرافعون في جهد ، فيسقط من أيديهم في ثقل ، إن في هذه الكلمة " طنا " على الأقل من الأثقال ، ولو أنك قلت "تثاقلتم" ، لخف الجرس ، ولضاع الأثر المنشود ، وتوارت الصورة المطلوبة الذي رسمها هذا اللفظ ، واستقل برسمها التصوير الفني في القرآن[٥٩]

ومثل " ليبطئن " في قوله تعالى : (وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيداً)(النساء : ٧٢)

فتقرأ " وإن منكم لمن ليبطئن " فترتسم صورة التبطئة في جرس العبارة كلها ، وفي جرس " ليبطئن " خاصة ، وأن اللسان ليكاد يتعثر ، وهو يتخبط فيها حتى يصل ببطء إلى نهايتها[٦٠] ؛ فهي تصور في براعة حال المتقاعس عن الجهاد.

يقول البقاعي: { لمن ليبطئن } أي يتثاقل في نفسه عن الجهاد لضعفه في الإيمان أو نفاقه، ويأمر غيره بذلك أمراً ، مؤكداً إظهاراً للشفقة عليكم ، وهو عين الغش فإنه يثمر الضعف المؤدي إلى جرأة العدو المفضي إلى التلاشي.[٦١]

قال بهاء الدين السبكي : فإن قلت زيادة الحروف لزيادة المعنى ... فكيف جعلتم كثرة الحروف مخلا بالفصاحة مع كثرة المعنى فيه ؟

قلت : لا مانع من أن تكون إحدى الكلمتين أقل معنى من الأخرى ، وهي أفصح منها ، إذ الأمور الثلاثة التي يشترط الخلوص منها لا تعلق لها بالمعنى(٦٢)

فالسبكي يجعل الكلمات الطويلة أكثر معنى ، ولكنها أقل في الفصاحة ، وهذا الكلام فيه نظر ، لأن العلامة السبكي أراد به التدليل على صحة رأيه ، إذ أن مرجعه في ذلك إلى أن الفصاحة في اللفظ لا تعلق لها بالمعنى كما ذكر "إذ الأمور الثلاثة التي يشترط الخلوص منها لا تعلق لها بالمعنى" وكنت أتمنى أن يكون كلامه يرجع فيه الفصاحة في قلة الحروف وكثرتها في الدلالة على المعنى ، وهاهو ابن جني يشير إلى أهمية اللفظ في الدلالة على المعنى حيث يقول " فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث ، فباب عظيم واسع ، ونهج مُتلئب ، عند عارفيه مأموم ، وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها فيعدلونها بها ويحتذونها عليها ، وذلك أكثر مما نقدره وأضعاف ما نستشعره(٦٣)

ومن أعجب ما رأيناه في إعجاز القرآن وإحكام نظمه ، أنك تحسب ألفاظه هي التي تنقاد لمعانيه ، ثم تتعرف ذلك وتتغلغل فيه فتنتهي منه إلى أن معانيه منقادة لألفاظه ، ثم تحسب العكس وتتعرفه متشبثا فتصير منه إلى عكس ما حسبت ، وما إن تزال مترددا على منازعة الجهتين كلتيهما ، حتى ترده إلى الله الذي خلق في العرب فطرة اللغة ، ثم أخرج من هذه اللغة ما أعجز تلك الفطرة ، لأن ذلك التوالي بين الألفاظ ومعانيها ، وبين المعاني وألفاظها ، مما لا يعرف مثله إلا في الصفات الروحية العالية ، إذ تتجاذب روحان قد ألفت بينهما حكمة الله فركبتهما تركيبا مزجيا بحيث لا يجري حكم في هذا التجاذب على إحداهما حتى يشملها جميعا(٦٤)

وبالنظر في واقع الحال نجد أن هناك كلمات طويلة قد وردت في القرآن لا يصح المعنى إلا بها .

ومن هذا القبيل كلمة " فسيكفيكهم " في قوله تعالى : (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (البقرة:١٣٧)

هذه الآية تسلية وتسكين للمؤمنين ، ووعد لهم بالحفظ والنصرة على من ناوأهم وهو السميع العليم ، إما من تمام الوعد بمعنى أنه يسمع أقوالكم ويعلم إخلاصكم ، وهو مجازيكم لا محالة ، أو وعيد للمعرضين بمعنى أنه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون ، وهو معاقبهم عليه(٦٥)

وكل حرف هنا له مزية في الكلمة فالسين " حرف يختص بالمضارع ويخلصه للاستقبال ، وينزل منه منزلة الجزء فلذا لم تعمل فيه ، وذهب البصريون : إلى أن مدة الاستقبال معه أضيق منها مع سوف(٦٦)

فكأن استخدام السين بدلا من " سوف " ليقول لهم أن الوقت الذي سوف يحقق لهم وعده بالنصر هو وقت قريب ، وأنه كائن لا محالة.

" قال سيبويه في قوله تعالى : " فسيكفيكهم الله " معنى السين أن ذلك كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين(٦٧)

" أو للتذييل الآتي حيث إن السين في المشهور لا تدل على أكثر من التنفيس عقب ذكر ما يؤدي إلى الجدال والقتال ، والمراد سيكفيك كيدهم وشقاقهم ، لأن الكفاية لا تتعلق بالأعيان بل بالأفعال ، وتلوين الخطاب بتجريده للنبي ﷺ مع أنه سبحانه أنجز وعده الكريم بما هو كفاية للكل من قتل بني قريظة وسبيهم وإجلاء بني النضير لما أنه ﷺ الأصل والعمدة في ذلك ، وهو سلك حبات أفئدة المؤمنين ومطمح نظر كيد الكافرين ، وللإيذان بأن القيام بأمور الحروب ، وتحمل المشاق ومقاساة الشدائد في مناهضة الأعداء من وظائف الرؤساء ؛ فنعمته تعالى في الكفاية والنصرة في حقه أتم وأكمل ، وهو أبلغ من كفى لبنائه على لفظ المبالغة(٦٨)

ومن هذا القبيل كلمة " أنلزمكموها " في قوله تعالى : (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) (هود:٢٨)

فانظر إلى حروف هذه الكلمة وتألقها في إظهار المشقة في صعوبة الإلزام ، والتي لو أسقطت حرف واحد منها لكان ذلك خللا بينا يؤدي إلى

إخلال في أداء المعنى المراد ، فلو أسقطت حرف الميم مثلا وقلت أنلزكموها ، أو لو قلت أنلزمكم ذلك لصح هذا التعبير لغويا ، ولكن ما كان لها هذا الجرس الموسيقي الذي يفضي إليه المعنى مع وجود الميم ، ولما كان لهذا الانسجام والبراعة في النغم ، فالكلمة – كما يقول الرافعي : "خطوة للمعنى في سبيله إلى النفس ، إن وقف عنده هذا المعنى قطع به"[٦٩] " وظاهره مشعر بصدوره عنه ﷺ بطريق إظهار اليأس عن إلزامهم ، والقعود عن محاجتهم كقوله ﷺ : (وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي)(هود: من الآية٣٤) الخ ، لكنه محمول على أن مراده ﷺ ردهم عن الإعراض عنها ، وحثهم على التدبر فيها بصرف الإنكار إلى الإلزام حال كراهتهم لها لا إلى الإلزام مطلقا ، ويجوز أن يكون المراد بالبينة دليل العقل الذي هو ملاك الفضل ، وبحسبه يمتاز أفراد البشر بعضها من بعض ، وبه يناط الكرامة عند الله عز وجل والاجتباء للرسالة وبالكون عليها التمسك به والثبات عليه ، وبخفائها على الكفرة ، على أن الضمير للبينة عدم إدراكهم لكونه ﷺ عليها وبالرحمة النبوة التي أنكروا اختصاصه ﷺ بها بين ظهرانيهم ، والمعنى أنكم زعمتم أن عهد النبوة لا يناله إلا من له فضيلة على سائر الناس مستتبعة لاختصاصه به دونهم ، أخبروني إن امتزت عنكم بزيادة مزية وحيازة فضيلة من ربي ، وآتاني بحسبها نبوة من عنده ؛ فخفيت عليكم تلك البينة ، ولم تصيبوها ، ولم تنالوها ، ولم تعلموا حيازتي لها ، وكوني عليها إلى الآن ، حتى زعمتم إني مثلكم وهي متحققة في نفسها ، أنلزمكم قبول نبوتي التابعة لها والحال أنكم كارهون لذلك؟[٧٠]

وهو استفهام بمعنى الإنكار ، أي لا يمكنني أن أضطركم إلى المعرفة بها وإنما قصد نوح عليه السلام بهذا القول أن يرد عليهم[٧١]

أو يكون الاستفهام للحمل على الإقرار وهو الأنسب بمقام المحاجة ، وحينئذ يكون كلامه ﷺ جوابا عن شبههم التي أدرجوها في خلال مقالهم من كونه ﷺ بشرا قصارى أمره أن يكون مثلهم من غير فضل له عليهم وقطعا لشأفة آرائهم الركيكة[٧٢]

ويذكر المرحوم الشيخ سيد قطب أن كلمة أنلزمكموها : " تصور جو الإكراه بإدماج كل هذه الضمائر في النطق ، وشد بعضها إلى بعض ، كما

يدمج الكارهون مع ما يكرهون ، ويشدون إليه وهم منه نافرون ، وهكذا يبدو لون من التناسق أعلى من البلاغة الظاهرية ، وأرفع من الفصاحة اللفظية ، اللتين يحسبهما بعض الباحثين في القرآن – قديما وحديثا – أعظم مزايا القرآن(٧٣)

كما نقرأ كلمة " فأسقيناكموه " فنجدها بحروفها راسمة للمعنى المراد منها ، وهي رحمة الله بنا في تسخيره للماء الذي منه كل شيء حي ، لاستخدامه متى أردنا فيما أردنا مما هو نافع لنا في قوله تعالى (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) (الحجر:٢٢)

فأسقيناكموه أى جعلنا ذلك المطر لسقياكم ولشرب مواشيكم وأرضكم قال ، أبو علي يقال سقيته الماء إذا أعطيته قدر ما يروى وأسقيته نهرا أى جعلته شربا له ، وعلى هذا فأسقيناكموه أبلغ من سقيناكموه (٧٤)

"وهو ٠٠ أبلغ من سقيناكم لما فيه من الدلالة على جعل الماء معدا لهم ينتفعون به متى شاؤوا .

وقد فرق بين أسقي وسقى غير واحد ؛ فقد قال الأزهري : العرب تقول لكل ما كان من بطون الأنعام ، أو من السماء ، أو من نهر جار أسقيته أي : جعلت شربا له وجعلت له منه مسقى ، فإذا كان للشفة قالوا : سقي ولم يقولوا : أسقي.

وقال أبو علي : يقال سقيته حتى روي ، وأسقيته نهرا جعلته شربا له وربما استعملوا سقى بلا همزة كأسقى ، كما في قول لبيد يصف سحابا :

أقــول وصــوبه مني بعيــد ∴ يحط الشث من قلل الجبال

سقى قومي بني نجد وأسقى ∴ نميرا والقبــائل من هــلال

فإنه لا يريد بسقي قومي ما يروي عطاشهم ولكن يريد رزقهم سقيا لبلادهم يخصبون بها ، وبعيد أن يسأل لقومه ما يروى ولغيرهم ما يخصبون به ، ولا يرد على قول الأزهري : إنه لا يقال أسقى في سقيا الشفة قول ذي الرمة وأسقيه حتى كاد مما أبثه يكلمني أحجاره وملاعبه قال الإمام : لأنه أراد بأسقيه أدعو له بالسقيا ، ولا يقال في ذلك كما قال أبو

عبيد سوى أسقي ، هذا وقد جاء الضمير هنا متصلا بعد ضمير منصوب متصل أعرف منه ومذهب سيبويه في مثل هذا وجوب الاتصال(٧٥)

فهذه الصيغة على طولها لا تصلح صيغة تعبيرية أخرى لأداء المعنى المراد بدلا منها لأنها " ترد كل حركة إلى الله حتى شرب الماء . . فأسقيناكموه . . والمقصود أننا جعلنا خلقتكم تطلب الماء ، وجعلنا الماء صالحا لحاجتكم ، وقدرنا هذا وذاك . وأجريناه وحققناه بقدر الله ، والتعبير يجيء على هذا النحو لتنسيق الجو كله ، ورجع الأمر كله إلى الله حتى في حركة تناول الماء للشراب ؛ لأن الجو جو تعليق كل شيء في هذا الكون بإرادة الله المباشرة ، وقدره المتعلق بكل حركة وحادث . . سنة الله هنا في حركات الأفلاك كسنته في حركات الأنفس . . تضمن المقطع الأول سنته في المكذبين ، وتضمن المقطع الثاني سنته في السماوات والأرضين ، وفي الرياح والماء والاستقاء . وكله من سنة الله التي يجري بها قدر الله . وهذه وتلك موصولتان بالحق الكبير الذي خلق الله به السماوات والأرض والناس والأشياء سواء.(٧٦)

ومن ذلك كلمة " ليستخلفنهم " في قوله تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (النور:٥٥)

وفيها تثبيت قلوب المؤمنين ، وتسليحهم بعزيمة الصبر واليقين ؛ بسبب ما كان يقصه القرآن عليهم الفينة بعد الفينة ، والحين بعد الحين من قصص الأنبياء والمرسلين ، وما كان لهم ولأتباعهم مع الأعداء والمخالفين ، وما وعد الله به عباده الصالحين من النصر والأجر والتأييد والتمكين ٠٠ ، وقد صدق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العلمين(٧٧)

" ليستخلفنهم في الأرض " ، وقد جاءت عذوبتها من تنوع مخارج الحروف ، ومن نظم حركاتها ، فإنها في ذلك صارت في النطق كأنها أربع كلمات إذ تنطق على أربع مقاطع(٧٨)

فما حقيقة الاستخلاف في الأرض ؟

إنها ليست مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم . . إنما هي هذا كله على شرط استخدامه في الإصلاح والتعمير والبناء ؛ وتحقيق المنهج الذي رسمه الله للبشرية كي تسير عليه ؛ وتصل عن طريقه إلى مستوى الكمال المقدر لها في الأرض ، اللائق بخليقة أكرمها الله .

إن الاستخلاف في الأرض قدرة على العمارة والإصلاح ، لا على الهدم والإفساد . وقدرة على تحقيق العدل والطمأنينة ، لا على الظلم والقهر ، وقدرة على الارتفاع بالنفس البشرية والنظام البشري ، لا على الانحدار بالفرد والجماعة إلى مدارج الحيوان(٧٩)

ومنه أيضا " يصطرخون " في قوله تعالى : (وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ) (فاطر:٣٧)

" يصطرخون فيها " يستغيثون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح استعمل في الاستغاثة لجهر المستغيث صوته ، واستغاثتهم بالله عز وجل بدليل ما بعده وقيل ببعضهم لحيرتهم وليس بذاك(٨٠)

وهذا التعبير أبلغ من يصرخون " للإشارة إلى أنهم يصرخون صراخا منكرا خارجا عن الحد المعتاد(٨١)

ويذكر صاحب التصوير الفني إيحاءات هذه الكلمة حيث يقول : " يخيل إليك جرسها الغليظ ، غلظ الصراخ المختلط المتجاوب من كل مكان ، المنبعث من حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة ، كما تلقي إليك ظل الإهمال لهذا الاصطراخ الذي لا يجد من يهتم به أو يلبيه ، وتلمح من وراء ذلك كله صورة ذلك العذاب الغليظ الذي هم فيه يصطرخون ، وحين يستقل لفظ واحد بهذه الصورة كلها يكون ذلك فنا من التناسق(٨٢)

وتأمل لفظ متشاكسون في قوله تعالى : (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ)(الزمر:٢٩)

وقد جعل صاحب مناهل العرفان ذلك من استغلال القرآن للغرائز النفسية

استغلالا صالحا بعد أن يهذبها بالدليل ، ويصقلها بالبرهان ، فغريزة التقليد والمحاكاة في الإنسان مثلا قد نأى بها القرآن عن احتذاء الأمثلة .

"وهكذا دخل القرآن على الناس من هذا الباب ، فقادهم من غرائزهم حتى ناط أوامره بمصالحهم ، ونواهيه بمفاسدهم ، وجعل ذلك قاعدة عامة .

.. فانظر إلى تلك المقارنة الرائعة بين المؤمن والمشرك إذ يقول سبحانه : (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ) ، فأنت ترى في هذه الآية الكريمة أن المشرك مع معبوديه مثله مثل عبد اشترك فيه شركاء متنازعون مختلفون كل واحد منهم يدعي أيهم عبده ، فهم يتجاذبونه ويتعاورونه في أعمال شتى ، وهو متحير متعب مجهود لا يدري أيهم يرضى بخدمته ، وعلى أيهم يعتمد في حاجاته ، ولا يدري ممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه ، فهمه شعاع وقلبه أوزاع ، أما المؤمن فمثله مثل عبد له سيد واحد فهمه وقلبه مجتمع وضميره مستريح وعمله مريح [٨٣]

"وهذا المثل يصور حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك في جميع الأحوال ؛ فالقلب المؤمن بحقيقة التوحيد هو القلب الذي يقطع الرحلة على هذه الأرض على هدى ، لأن بصره أبداً معلق بنجم واحد على الأفق فلا يلتوي به الطريق ، ولأنه يعرف مصدراً واحداً للحياة والقوة والرزق ، ومصدراً واحداً للنفع والضر ، ومصدراً واحداً للمنح والمنع ، فتستقيم خطاه إلى هذا المصدر الواحد ، يستمد منه وحده ، ويعلق يديه بحبل واحد يشد عروته ، ويطمئن اتجاهه إلى هدف واحد لا يزوغ عنه بصره ، ويخدم سيداً واحداً يعرف ماذا يرضيه فيفعله ، وماذا يغضبه فيتقيه . . وبذلك تتجمع طاقته وتتوحد ، فينتج بكل طاقته وجهده ، وهو ثابت القدمين على الأرض متطلع إلى إله واحد في السماء . .

ويعقب على هذا المثل الناطق الموحي ، بالحمد لله الذي اختار لعباده الراحة والأمن والطمأنينة والاستقامة[٨٤]

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) (العنكبوت:٥٨)

يكشف عما أعده لهم هناك . وإنهم ليفارقون وطنا فلهم في الأرض عنه سعة . ويفارقون بيوتا فلهم في الجنة منها عوض . عوض من نوعها وأعظم منها ... وهي لمسة التثبيت والتشجيع لهذه القلوب ، في موقف القلقلة والخوف والحاجة إلى التثبيت والتشجيع.[٨٥]

خاتمة

الحمد لله رب العالمين الذي أحسن كل شيء خلقه ثم هدى ، والصلاة والسلام على خير من حملت البطحاء ، وأظلت السماء سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه وسلم

وبعد،،

فهذه خاتمة عمل أدعو الله سبحانه وتعالى أن يكون مقبولا لديه ، وقد توصلت فيه إلى عدة نقاط أهمها :

أولا : ليس من شك في أن الخطيب القزويني له أثر كبير في البلاغة العربية لكن تعريفه لتنافر الحروف –وإن سار عليه من تبعه من الشراح– إلا أنهم حين يطبقون القاعدة لم أجد لها صدى لديهم ، مما دفعني إلى تقديم تعريف آخر لتنافر الحروف نظرت فيه إلى دلالة الحرف من خلال بنية الكلمة على حكاية المعنى.

ثانيا : من العلماء من ذكر أن سبب الثقل في الحروف قرب المخارج ، و البعض يرى أن سبب الثقل بعد المخرج ، وساوى آخرون بين القرب والبعد ، والحق أن قرب المخرج أو بعده ليس هو ما يؤدي إلى خروج الكلمة عن حدود الفصاحة ، فكثيرا من آيات القرآن جاءت قريبة المخرج لكنها كانت هي المعبرة عن معناها بحق بحيث لو استبدل حرف لما أعطت الإيحاء المطلوب منها.

ثالثا : ورد في كثير من آيات القرآن كلمات طويلة في عدد حروفها ، طويلة في عدد المقاطع إلا أنها في الدرجة الأعلى من البلاغة في موضعها.

رابعا: بعض البلاغيين يجعل حاسة السمع هي الحكم على فصاحة الكلمة أو عدم فصاحتها ، ولكن ليس كل ساع بل ما زاد عن متعارف الأوساط ، كما أن اللفظة الواحدة تحسن في موضع ، وتقبح في موضع آخر.

من العلماء من جعل كثرة الحروف على الرغم من زيادة المعنى فيه ، إلا أنه يكون أقل فصاحة ، وهذا مردود عليه بأن هناك من آيات القرآن ما كانت حروفه كثيرة مثل كلمة فسيكفيكهم – أنلزمكموها ،

وغير ذلك مما ذكر في البحث مما لا يصلح غيرها للدلالة على المعنى المراد.

جاءت في القرآن كلمات مكونة من مقطعين متتالين ، وكانت مثل باقي كلمات القرآن في الدرجة الأعلى من البلاغة.

خامسا : إن أغلب هذه الآيات كانت تحكي مواقف فيها تخويف يرتدد – اثاقلتم – مقتدر – يصطرخون – كبكبوا – زحزح – اثاقلتم .

حواشي البحث:

١ – يخطئ من يظن أن هذا الإعجاز خاص باللغة وحدها ، لأن الإسلام دين لكل البشر ليس من يتحدث العربية وحدها ، وإنما لكل اللغات حتى في هذه الأمم التي تدين بالمادة المحسوسة ، لذلك كلما وصل علماؤهم إلى شيء مستحدث في ظنهم وجدوا له أصلا في كتاب الله فقد صدق الحق حين يقول " (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) (الأنعام:من آية ٣٨) .

٢– زاد المسير جـ٨ صـ٤٠٣

٣ – أسد الغابة جـ٢ صـ٣١٧

٤ – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية صـ٢٢٧

٥ – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية صـ٨١

٦– الإيضاح للخطيب القزويني صـ٤

٧ – دلائل الإعجاز صـ٥٢٢ ت محمود محمد شاكر الطبعة الخامسة ٢٠٠٤ مكتبة الخانجي

٨ – ينظر عروس الأفراح للسبكي جـ١ صـ٨٠ ضمن شروح التلخيص ، خصائص التراكيب للدكتور / محمد أبو موسى ، دراسات وتطبيقات في علم المعاني د/يحيي محمد يحيي

٩ – دراسات في فقه اللغة د/ صبحي الصالح صـ١٤٢

١٠ – دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني صـ٥٢٢

١١ – الإيضاح للخطيب القزويني صـ٤

١٢ – عروس الأفراح للسبكي جـ١ صـ٧٩ ضمن شروح التلخيص

١٣ – خصائص التراكيب د/محمد أبو موسى صـ٦٢ ط الرابعة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م

١٤ – في العربية كثير من الألفاظ مقاطعها تصل إلى أربع مقاطع مثل كلمة " استمتعتم "

١٥ – علم الفصاحة العربية مقدمة في النظرية والتطبيق د/محمد على رزق خفاجي ط دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٨٢ صـ٢٠٦ : ٢٠٩

١٦ – ينظر صـ ١٠من هذا البحث وما بعدها

١٧ – ينظر المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي جـ١ صـ١٥٣

١٨ – ينظر جمهرة اللغة لابن دريد حـ١ صـ ٣ طبعة المكتبة الثقافية الدينية

١٩ – سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي صـ٦٦

٢٠ – النكت في إعجاز القرآن للرماني ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن صـ

٢١ – العمدة لابن رشيق القيرواني ت.محمد محيي الدين عبد الحميد جـ١ صـ١٢٤

٢٢ – – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية صـ٢٢٤، ٢٢٥

٢٣ – التعبير الفني في القرآن د بكري شيخ أمين صـ١٨٦ ط.دار الشروق

٢٤ – تفسير القرطبي جـ ١٥ صـ ٤٧

٢٥ – تفسير أبي السعود جـ ٧ صـ ١٧٥

٢٦ – تفسير التحرير والتنوير جـ٢ صـ٣٣٢

٢٧ – قوله تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)

(المائدة:٥٤)

٢٨ – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي جـ١صـ١٨٩

٢٩ – في ظلال القرآن سيد قطب جـ١ صـ٢٢٨

٣٠ – تفسير القرطبي جـ: ٦ صـ: ٢١٩

٣١ – روح المعاني جـ: ٢ صـ: ١١٠

٣٢ – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي جـ١صـ١٨٩

٣٣ – روح المعاني ج: ٢ ص: ١١٠

٣٤ – نظم الدرر جـ٥صـ٦١

٣٥– البرهان في علوم القرآن جـ: ٣ صـ: ٣٤

٣٦– نظم الدررجـ١٠ صـ٢٢٤

٣٧ – تفسير أبي السعود ج: ٨ ص: ١٧٣و١٧٤

٣٨ – المغني جـ١٦ صـ١٩٩

٣٩ – المرجع السابق صـــ٢٠٠

٤٠ – المثل السائر لابن الأثير جـــ١ صـــ١٧٣ طبعة نهضة مصر

٤١ – الليت : صفحة العنق ، الأخدعان : عرقان في جانبي العنق

٤٢ – دلائل الإعجاز صـــ٤٧

٤٣ – ينظر صـــ٦ من هذا البحث

٤٤ – تفسير البيضاوي جـــ ١ صـــ ٤٩٨

٤٥ – تفسير أبي السعود جـــ ١ صـــ ٢١٥

٤٦ – في ظلال القرآن صـــ٢٠٢٦

٤٧ – مباحث في علوم القرآن د/ صبحي الصالح صـــ٣٣٥

٤٨ – ينظر الإتقان جـــ ٢ صـــ ٢٣٧ وتفسير البيضاوي جـــ ٤ صـــ ٢٤٤

٤٩ – في ظلال القرآن سيد قطب جـــ٦ صـــ٣٨٤٨

٥٠ – في ظلال القرآن سيد قطب حـــ ٦ صـــ ٣٨٤١ .

٥١ – – الغدائر : ذوائب الشعر ، والمثنى : المفتول ، والمرسل : غير المفتول

٥٢ – عروس الأفراح للسبكي جـــ١ صـــ٧٩

٥٣ – دراسات وتطبيقات في علم المعاني د / يحيي محمد يحيي صـــ٤٣

٥٤ – مختصر السعد جـــ١ صـــ٨١ ضمن شروح التلخيص

٥٥ – خصائص التراكيب د/ محمد أبو موسى صـــ ٦٣

٥٦ – تفسير الثعالبي جـــ ٢ صـــ ١٣٠

٥٧ – ينظر تفسير القرطبي جـــ ٨ صـــ ١٤٠

٥٨ – تفسير أبي السعود جـــ ٤ صـــ ٦٥

٥٩ – التصوير الفني في القرآن سيد قطب صـــ٩١

٦٠ – التصوير الفني في القرآن صـــ٩٢

٦١ – نظم الدرر جـــ٢ صـــ١٤٧

٦٢ – عروس الأفراح للسبكي جـــ١ صـــ٨٢

٦٣ – الخصائص لابن جني جـــ١ صـــ٥٤٩ مطبعة الهلال بمصر ١٣٣١هـــ ١٩١٣م يتحدث ابن جني هنا بأن بعض الألفاظ تترتب أصواتها بترتيب

أحداث الفعل مثل كلمة بحث ، وهذا لا يمنع من الاستدلال به هنا لأن المراد هو حكاية الصوت للمعنى .

٦٤ – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية تأليف مصطفى صادق الرافعي صـــ٤٨

٦٥ – تفسير البيضاوي جـــ ١ صـــ ٤١٢

٦٦ – لإتقان جـــ ١ صـــ ٤٧٤

٦٧ – البرهان في علوم القرآن ج: ٢ ص: ٤١٨

٦٨ – روح المعاني جـــ ١ صـــ ٣٩٧

٦٩ – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية صـــ٢٢١

٧٠ – تفسير أبي السعود جـــ ٤ صـــ ٢٠٢

٧١ – تفسير القرطبي جـــ ٩ صـــ ٢٥ وصـــ ٢٦

٧٢ – تفسير أبي السعود جـــ ٤ صـــ ٢٠٢

٧٣ – التصوير الفني في القرآن صـــ٩٢

٧٤ – فتح القدير جـــ ٣ صـــ ١٢٧

٧٥ – روح المعاني جـــ ١٤ صـــ ٣١

٧٦ – في ظلال القرآن جـــ٤ صـــ٢١٣٤

٧٧ – مناهل العرفان جـــ ١ صـــ ٤٢

٧٨ – إعجاز القرآن والبلاغة النبوية صـــ٢٢٩

٧٩ – في ظلال القرآن سيد قطب جـــ٤ صـــ٢٥٢٩

٨٠ – تفسير البيضاوي جـــ ٤ صـــ ٤٢١ وروح المعاني جـــ ٢٢ صـــ ٢٠٠

٨١ – – الإتقان جـــ ٢ صـــ ٢٣

٨٢ – التصوير الفني في القرآن صـــ٩٢

٨٣ – مناهل العرفان جـــ ٢ صـــ ٢٦٣

٨٤ – في ظلال القرآن جـــ٥ صـــ٢٧٣٤

٨٥ – في ظلال القرآن صـــ٢٧٤٩

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار التراث - القاهرة
٣. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية مصطفى صادق الرافعي الطبعة الثالثة المكتبة التوفيقية
٤. الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني تحقيق ودراسة د/ عبدالقادر حسين الناشر مكتبة الآداب ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م
٥. البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية صيدا بيروت.
٦. التصوير الفني في القرآن الكريم لسيد قطب ط.١٧دار الشروق١٤٢٥هـ٢٠٠٤م
٧. التعبير الفني في القرآن الكريم د/بكري شيخ أمين الطبعة الأولى ١٩٩٤ دار العلم للملايين
٨. تفسير أبي السعود مؤسسة التاريخ العربي . دار إحياء التراث العربي الطبعة الثانية ١٤١١هـ١٩٩٠م
٩. تفسير البيضاوي من حاشية محيي الدين شيخ زاده الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
١٠. تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور دار سحنون للنشر والتوزيع تونس
١١. تفسير الثعالبي المسمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن للإمام عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي ت٨٧٥تحقيق الشيخ علي محمد معوض وآخرون ط دار إحياء التراث العربي لبنان ط أولى ١٤١٨-١٩٨٧
١٢. تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن ج١٨/ص٣٠٤ تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ – ١٩٩٨م.
١٣. حمهرة ابن دريد طبعة المكتبة الثقافية الدينية
١٤. الخصائص لابن جني مطبعة الهلال بمصر ١٣٣١هـ ١٩١٣م

١٥. خصائص التراكيب د/محمد أبو موسى الطبعة الرابعة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م
١٦. دراسات في فقه اللغة د/صحي الصالح الطبعة الثالثة عشرة أبريل ١٩٩٧ دار العلم للملايين
١٧. دراسات وتطبيقات في علم المعاني د/يحيي محمد يحيي مطبعة الأمانة
١٨. دلائل الإعجاز ت محمود محمد شاكر الطبعة الخامسة ٢٠٠٤ مكتبة الخانجي
١٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي قرآه وصححه محمد حسين العرب دار الفكر للطبع والنشر
٢٠. سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي تحقيق علي فوده الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م الناشر مكتبة الخانجي – القاهرة
٢١. شروح التلخيص وهي مختصر سعد الدين التفتازاني ومواهب الفتاح لأبن يعقوب المغربي وعروس الأفراح للسبكي وحاشية الدسوقي على شرح السعد طبعة دار السرور بيروت - لبنان
٢٢. علم الفصاحة العربية مقدمة في النظرية والتطبيق د/محمد على رزق خفاجي ط دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٨٢ صـ٢٠٦ : ٢٠٩
٢٣. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق القيرواني دار الجيل بيروت - لبنان
٢٤. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني نشر : دار الفكر بيروت
٢٥. في ظلال القرآن لسيد قطب طبعة الشروق
٢٦. المثل السائر لابن الأثير جـ١ صـ١٧٣ طبعة نهضة مصر
٢٧. المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي تحقيق محمد جاد المولى وآخرون طبعة دار الجيل بيروت - لبنان
٢٨. مناهل العرفان في علوم القرآن محمد عبد العظيم الزرقاني - دار الفكر بيروت سنة ١٩٩٦ الطبعة الأولى - تحقيق مكتب البحوث والدراسات .
٢٩. نظم الدرر في تناسب الآي والسور لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ
٣٠. النكت في إعجاز القرآن للرماني ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القران تحقيق د/محمد خلف الله أحمد ود/زغلول سلام مصر١٩٥٦م.